انت مجرم و كنا نراقبك منذ امد طويل ...» كما يفاجأ القارىء ويذهل عندما يرى بان الكاتب قصد وبطريقة بارعة وضع سليمان الحلبي بطل القصة في عالم ، وشقيقه ووالديه في العالم المقابل ، حيث تتفاقم عزلته في اشد الاوقات حرجاً وهو على اهبة الموت .

ويبدو جلياً تأثر زكريا تامر بالدين والمعجزات السماوية والخرافات الشعبية ، كما في «جنكيز خان» حيث يقول: « وكان ثمة مدينة صغيرة بلا اسوار، اهلهـا يؤمنون ان الله موجود في كل مكان ومقتنعون ان الله خلق من الملائكة عدداً لايحصى، والملائكة من نور ، ولهم اجنحـة بيضاء ، ولا تراهم اعين البشر . ويخضع كل شخص حي لمراقبة اثنين من الملائكة يسجلان حسناته ومساوئه ». وهذا مما يجعل مواضيعه فضفاضة ومتسعة حتى ليبدو اسلوبها اكثر ضيقاً من استيعابها .

اما عنـد محمد حيدر فالاسلوب يثير تساؤل القارىء عن مصير ابطاله ولو بضعة ايام بعيداً عن الحاضر ، في الوقت الذي ارتوى فيه من معرفة ماضيهم وحاضرهم . ولكن هذا لا يمنع من الاشارة بان القارىء يستشف من السطور الاخيرة لكل قصة ان الماضي فقط هو عالم ابطاله .

اما ابطال وليد اخلاصي فانهم يبدأون غالباً واقعيين ، ولكن ما ان يبدأ الكاتب بالتدخل في شؤونهم وتوجيه عواطفهم حتى يفقدهم هذه الواقعية .

ولذلك نرى ان كلا من زكريا تامر ومحمـد حيدر ووليد اخلاصي منفصل عن الآخر بكآبته وبؤسه الفنيين ، ويسعى جاهداً لان يكون له عالمه الادبي الخاص ، الذي توصل اليه كل من تامر وحيدر ، اما اخلاصي فما زال يبحث عن باب له او نافذة .

سنيه صالح

جبران خليل جبران

Kahlil Gibran, His Background, Character and Works
by Khalil S. Hawi. AUB Oriental Series, Beirut 1963

ظهرت بالانكليزيـة دراسة الدكتور خليل حاوي عن « جبران خليل جـبران في اطاره التاريخي واخلاقه وآثاره » ، وهي الاطروحة التي قدمهـا في جامعة كيمبردج لنيل شهادة الدكتوراه في الاداب . فما مقومات هذه الدراسة الجامعية وما الجديد الذي اتت به ؟

ينطوي هـذا البحث الموضوعي العلمي على مقدمة وثمانية فصول . وقـد تناول الفصلان الاولان ، باسهاب وتدقيق ، الاطـار القومي التاريخي والنهضة الادبية ، فتوسع فيهما المؤلف توسعاً بارزاً لكي يموقع الادب الجبراني في زمانه ومكانه جرياً على السياق الاسنوبي ، ثم ناقش في الفصل الثالث الابحاث التي كتبت عن جبران فتوقف بنوع خاص عند كتب ميخائيل نعيمه وجميل جبر وباربره يونغ . اما الفصل الرابـع فتناول نشأة جبران وتطوره واخلاقه . وعالجت الفصول الباقية بتحليل رصين افكار جبران ومؤثراتها واسلوبه الكتابي والاسباب التي اثارت شهرته

في العالمين .

من سيرة جبران لم يحفظ خليل حاوي الا الوقائع التي ايدتها وثائق ثابتة ، اللهم الا بعض امور ايدها شهود احياء ، او اقتنع هو بها ، مثل علاقة صاحب « النبي » بماري خوري او « الجنية » كما يرمز اليها . لكنه تبسط في دراسته لتطور التفكير الجبراني ، فرافقه منذ انطلاقته في الكتب العربية الاولى حيث تلمس بذور آثاره المقبلة . واستخلص من معتقداته الاولى ان جبران كان يؤمن بقدسية حقوق القلب فيجعل منها ديناً ، اذ القلب في عرفه باب الفردوس الارضي ، ان ولجه الحب اعاد الانسان الى براءته الاولى ، الى الطبيعة . وهذا الحب الباعث اقوى من كل تقليد وناموس ، بل اقوى من الحياة نفسها . فان تعذر اجتماع الحبيبين على هذه الارض فانهما لا بد مجتمعان في الاخرة بفعل جاذبية الحب . فالموت ليس نهاية بل منقذاً من حياة بالية التقاليد ، يفسح لحياة ينعم الخلان فيها على غير اكراه .

ولقد شرح الدكتور حاوي مصادر هذه الافكار ، فردها الى الرومنطيقية والروسوية قبلها ، والى عنصر اختبار ذاتي لعله الاوحد من حيث الفاعلية في حياة جبران الاولى ، هو عنصر الحب الذي يقترن بالموت « توقا الى روح امه الراقدة في الابدية » .

وينتقل المؤلف الى المرحلة الثانية في تفكير جبران ، فيراها تتميز بالعنف والسوداوية على رغم استمرار النزعة الرومنطيقية الاولى المتجلية في عذوبة الحب . وفي هذه المرحلة تبزغ وتنمو بذور التمرد والتحرر من كل استعباد سياسي او ديني او اجتماعي ، التي تبدت في نقطة الانطلاق . انها شجرة المدنية الفاسدة ، يحاول جبران استئصالها من الجذور لتنمو في تربتها المجددة ، « شجرة السنديان الحاملة ازاهر التفاح » على حد تعبير المؤلف . وهو يعني بذلك جبران المتسامي البناء المتحرر من سيطرة نيتشه ، العامل على غرار الانبياء على رفع مستوى الانسان في عالم كله محبة واخاء وتسامح وعدل .

لقد برع خليل حاوي في تعريف جبران رجلا وكاتباً ، فجعلنا نراه شاعراً في تفكيره لا تربط بين آرائه وتأملاته في الحياة والانسان اية لحمة منطقية ، واثبت ايمانه بان الحياة البشرية لا تبدأ في الرحم ولا تنتهي في اللحد ، وان السنين التي يعيشها الانسان على هذه الارض ان هي الا لحظات من حياة ازلية ، اذ الكائن البشري نهر من نور يسير من اودية الازل نحو بحر الابد . وان النفس البشرية شطر من شعلة متقدة فصلها الله عن ذاته قبل ابتداء الدهر ، تتنقل الى ظل الله حيث النور والراحة ثم تعود الى الحياة الدنيا ، الى اجساد جديدة ، عملا بسنة التقمص وتناسخ الارواح . ذلك ان دورة الحياة في عرف جبران لا تنتهي بعمر واحد ولا باعمار ، وتوالي الدورات يصفي الروح ويسمو بها الى الكمال الذي يتحقق في الله .

من سياق عرض الافكار الجبرانية بين الدكتور حاوي مدى تأثر جبران بالتوراة ونيتشه وخصوصاً ببليك في صوفيته ومجازيته ، ثم حلل الاسلوب الجبراني بين جدته في العربية وتقليديته في الانكليزية ، واخذ عليه وحدة اللون على تباين الموضوعات المطروقة .

وفي خلاصة هذا البحث الضافي اظهر المؤلف اسباب الاقبال العجيب في امريكا على الآثار الجبرانية ، ولا سيما « النبي » ، فاذا اهمها عامل شعوري ورومنطيقي يستهوي المراهقين ذهنيا المولعين باشراقة البيان الصوفي .

ان دراسة خليل حاوي ، وقد افادت من البعد التاريخي من جهة ، ومن الدراسات التي سبقتها من جهة ثانية ، قد ركزت في اطار الاسلوبية العلمية اتجاه البحث في عالم جبران . حبذا لو عرّبت ، اذاً لازدوجت الفائدة الجليلة منها .

جميل جبر